

الخصائص المعمارية والفنية لعمران مدينة تيهرت الرستمية

(160-296 هـ / 777-909م) -دراسة أثرية-

An archaeological study of 'Tihert al-Rustamiah City' urban,  
architectural and artistic characteristics

(160-296 AH / 777-909 AD)

♦ جلجال فاطمة

fatimadjeldjel19@gmail.com جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان

تاريخ الإرسال: 2021/10/31 تاريخ القبول: 2022/04/21 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

تعد الشواهد المادية المستخرجة من موقع تيهرت الأثري والمتواجد على بعد حوالي 8 كلمترات إلى الغرب من مدينة تيارت الحالية، مصدرا مهما لدراسة خصوصية العمارة والعمران للمدينة تيهرت التي أسست خلال القرن الثاني الهجري بزعامة العائلة الرستمية، لاسيما وأن ما جاء في المصادر التاريخية حول عمران المدينة لا يتعد الوصف العام لبعض العماثر وأنواعها. غير أن المقاربة بين المصار التاريخية والدراسة الأثرية لأطلال المدينة الموزعة على امتداد مساحة الموقع الأثري مكنتنا من تحديد استراتيجية شغل الفضاء المعماري للمدينة وأنواع منشآتها (الدينية والمدينة والعسكرية) بالإضافة إلى تقنيات البناء والتمهيق المعتمدة ومقارنتها بالتقنيات الانشائية المتعارف عليها في المغرب الإسلامي آنذاك، وهو ما خلص بنا إلى تحديد خصوصية المنشأة المعمارية خلال هذه الفترة باعتبارها تعكس الخطوات الأولى للتطور العمراني والفني في المغرب الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: تيهرت؛ الرستمي؛ العمران؛ الموقع الأثري؛ المغرب الأوسط.

**Abstract:**The physical evidence extracted from the archaeological site of Tihert, located about 8 kilometers west of the modern-day city of Tiaret, is considered an important resource for studying the archaeological and urban characteristics of Tihert, a city founded in the 2<sup>nd</sup> century AH under the leadership of the

♦ المؤلف المرسل

Rustamid family, especially since the historical sources about the city's urbanization do not provide more than a general description of some of the buildings and their types. However, contrasting historical resources with the archaeological study of the city's ruins distributed throughout the whole of the archaeological site has enabled us to determine and identify the city's architectural strategy and facility types (e.g., religious, civil, military) in addition to the followed construction and decoration techniques, comparing it to ones known in the Islamic Maghreb at that time. This helps us to determine the uniqueness of the architectural characteristics during this period as it is considered a reflection of the first steps of the urban and artistic architectural development of the Islamic Maghreb.

**Keywords:** Tihert; Rustamid; archaeological site; Islamic Maghreb.

#### مقدمة:

يحتضن الموقع الأثري لمدينة تيهرت المؤرخ بالفترة الممتدة ما بين 160-296هـ/777-909م مجموعة من البقايا المعمارية التي كانت تشكل منشآت معمارية متباينة، وإنه لمن الأهمية بمكان أن نولي أهمية خاصة لدراسة تلك الأطلال المتناثرة هنا وهناك على امتداد مساحة الموقع الأثري لما تحويه من معطيات مهمة حول الخصوصيات المعمارية والفنية التي عرفتها المدينة أولا والمغرب الإسلامي خلال هذه الفترة ثانيا، لاسيما وأن النتائج المتوصل إليها ومن خلال هذا الطرح ستسلط الضوء على جانب حضاري مهم من شأنه أن يبرز أهمية المدينة في حضارة المغرب الأوسط سواء خلال فترة ازدهارها، أو حتي في الفترات اللاحقة لسقوطها، باعتبار أن تلك المكتسبات الفنية والمهارات الانشائية قد انتقلت إلى باقي المدن التي نشأت تباعا على أرض المغرب الإسلامي.

#### 1. الموقع الجغرافي لمدينة تيهرت:

اتسم الموضع الذي أنشأت عليه مدينة تيهرت خلال القرن الثاني الهجري (2هـ) بتوسطه لحواضر المغرب الإسلامي، فقد كانت المسافة بينه وبين القيروان شرقا حوالي اثنان وثلاثون مرحلة، وبينه وبين فاس غربا خمسون مرحلة، ومنه إلى سجلماسة جنوبا

ما يقارب الخمسين مرحلة<sup>(1)</sup>، غير مصطلح تيهرت وياجماع جل المؤرخين يطلق على مدينتين كبيرتين في المغرب الأوسط الأولى قديمة أزلية والثانية محدثة<sup>(2)</sup>، وهو الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن أي من المدينتين احتضت عمران المدينة الرستمية، ونجد الإجابة عن تساؤلنا في وصف البكري لبناء الرستمييين لمدينتهم في قوله: "أنهم لما أرادوا بناء تاهرت، كانوا يبنون النهار، فإذا جن الليل وأصبحوا وجدوا بنيانهم قد تهدم، فبنوا حينئذ تاهرت السفلى وهي الحديثة"<sup>(3)</sup>، ثم يحدد موضع الحديثة منهما على بعد خمسة أميال غرب سابقتها.<sup>(4)</sup>

ونجد في الوصف السابق ما يتوافق والمعطيات الميدانية التي يحتضنها موقع تيهرت-تاقدمت المتواجد على بعد ثمانية كيلومترات إلى الغرب من مدينة تيارت الحالية والذي يضم مجموعة من أطلال العمائر المتناثرة على مساحة قدرت بـ 293011,71م<sup>2</sup>، قوامها ربوتين متقابلتين يصل ارتفاع الأولى إلى 862م عن مستوى سطح البحر بينما لا يزيد علو الثانية عن 850م.<sup>(5)</sup>

## 2. خصوصية موقع المدينة:

لقد كان اختيار الجماعة الرستمية لموقع تيهرت بالذات دون سائر المواقع ببلاد المغرب الأوسط وليد ظروف سياسية حتمت عليهم اختيار موقع ذو حصانة عالية<sup>(6)</sup>، ولأن فكرة بناء المدينة المزدهرة كان حاضرا في ذهن مؤسسها منذ البداية فقد وجدوا أن الحصانة الأمنية وحدها لن تكون كفيلة بتحقيق ذلك، ومن ثمة قرنوا منعة مدينته بازدهارها، وأدركوا أن السبيل إلى تحقيق ذلك يتطلب خبرة الخبراء "فاختاروا إذ ذاك من

- (1)- الاصطخري أبو إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، طبع بمدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، 1870م، ص: 46.
- (2)- الإدريسي الشريف، (ق 6هـ)، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 142هـ-2002م، ص: 275، ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة دار الحياة، لبنان بيروت، 1992م، ص: 86.
- (3)- البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص: 68، أبو زكرياء يحيى، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص: 67.
- (4)- البكري أبو عبيد الله، ص: 67.
- (5)- فاطمة جلجال، دور المواقع الأثرية في كتابة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط -موقع تيهرت الأثري أنموذجا-، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية جامعة وهران أحمد بن بلة، العدد 5-6، جوان 2017، ص: 311.
- (6)- محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، (160-296هـ)، ط 2، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1408هـ-1987م، ص: 95.

أهل العلم والخبرة بالأرض، جماعة ليرتادوا مكانا جيد الهواء، كثير المياه، خصب الأرض، قابلا للعمارة، مأمونا من العدو كما طلبوا، فطافوا أقطار تلك الجهات إلى أن عثروا على المكان الذي بنيت فيه"<sup>(7)</sup>، فكان هذا الأخير كما أرادوه يجمع بين الشرطين الأمني والحضاري.

## 1.2- الخصائص الأمنية:

يتميز الموضع الذي شيدت عليه مدينة تيهرت بحصانته الطبيعية بحكم تركزه "بين جبال وأودية"<sup>(8)</sup>، وهو الأمر الذي جعل المسالك المؤدية إليها صعبة لاسيما أن عمائر المدينة شيدت في سفح أحد تلك الجبال<sup>(9)</sup> الذي أصبح حاميا لها من الهجمات الخارجية وحصنها الحصين ضد أعدائها.

## 2.2- الخصائص الحضارية:

بلغت تيهرت في عهد بني رستم من الحضارة مبلغا عظيما، صورته لنا اليعقوبي في قوله: "المدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر"<sup>(10)</sup>، ولابد أنها وصلت إلى ذلك النوع من العظمة برقي تحضرها ومدنيتها، ورقت إليهما معا بفضل خصوصية موقعها الذي هيأها لذلك، فهو صالح للزراعة، قابل للتجارة.

### 1.2.2- قابلية الزراعة:

لقد كان قرار عبد الرحمن بن رستم المتعلق ببناء مدينة جديدة بدلا من القديمة موضع جدل بين المؤرخين، خاصة وأن هذه الأخيرة كانت تقع "على قنة جبل ليس بالعالى"<sup>(11)</sup> يتميز بحصانته، و"عليها سور"<sup>(12)</sup>، يعزز أمنها. وقد نسلم بأن اختيار المدينة القديمة لتكون مركزا للحاضرة الإباضية، أمر لم يلق ترحيبا واستحسانا من لدن أهلها<sup>(13)</sup>،

(7)- سليمان بن عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، القسم الثالث، تحقيق أحمد كروم، عمر بازين، مصطفى ابن دريسو، تقديم ابراهيم بكير بحاز، واحمد بن سعود السيابي، ط3، طبع بدار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1423هـ، 2002م، ص: 07.

(8)- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، طبع بمدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، 1890م، ص: 140.

(9)- نفسه، ص: 140.

(10)- نفسه، ص: 143.

(11)- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت، 1884م، ص: 126.

(12)- نفسه، ص: 126.

(13)- البكري أبو عبيد الله، مصدر سابق، ص: 67.

وقد نميل إلى التصديق بأن ابن رستم كان يهدف إلى المزيد من النفوذ والاعتبار الشخصي بتأسيس مدينته في موقع بكر أملا في تخليد ذكره، غير أن الواقع العملي غير تلك المفاهيم إلى ما هو أكثر موضوعية<sup>(14)</sup>.

فموقع تيهرت الحديثة كان "غيضة بين ثلاثة أنهار"<sup>(15)</sup>، في الوقت الذي كانت فيه المدينة البيزنطية لا تتلقى الري إلا من واد صغير مؤقت تمده عين الطلبة بالماء<sup>(16)</sup>.

وإن كان بناء المدينة البيزنطية قد راعوا علوها عن الأرض بـ(1050م) بهدف تحصينها، فإن بناء المدينة الرستمية اختاروا موضعا لا يتجاوز علوه (820م)<sup>(17)</sup>، بل و"اختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة، ويمر بها وبالبطحاء إلى أن يصب في وادي شلف"<sup>(18)</sup>، وهو طابع تقدمي في إنشاء المدن الإسلامية على خلاف نظيرتها الرومانية، فالموقع المنخفض المحاط بالمياه يسهل عملية التحكم في استغلالها<sup>(19)</sup>، واستنادا على هذا المبدأ أصبحت تيهرت مدينة "قد أحرق بها الأنهار"<sup>(20)</sup> من كل جوانبها، ففي قبيلها نهر مينه وفي شرقها نهر تاتش الذي يجري من تلك العيون المجتمعة<sup>(21)</sup>، كما اقترنت بهذه ميزة ميزتان لا تقلان عنها أهمية، أولها خصوبة الأرض التي توفرها طبيعة تولد مناس، الذي انشأت عليه المدينة<sup>(22)</sup>، وثانيهما جودة مناخها "فهي شديدة البرد كثيرة

14- رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، المؤسسة الوطنية للكتاب، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984م، ص: 78.

15- المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج كولان أيليفي بروفنسال، ج1، ط2، دار الثقافة، لبنان، بيروت، 1993، ص: 196.

16- رشيد بورويبة وآخرون، مرجع سابق، ص: 78.

17- لبزيك دابروفسكي، تاهرت: ملاحظات حول تطور فن العمارة الإسلامي بالمغرب الأوسط (القرن السابع-الحادي عشر)، محاضرات ومناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17-26 صفر 1397هـ- 15-06 فبراير 1977م، المجلد الرابع، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ص: 298.

18- ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1431هـ- 2001م، ص: 159.

19- لبزيك دابروفسكي، مرجع سابق، ص: 298.

20- المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ- 1991م، ص: 228.

21- البكري أبو عبيد الله، مصدر سابق، ص: 66-67.

22- ابن خلدون عبد الرحمن، مصدر سابق، ص: 159.

الغيوم والثلج"<sup>(23)</sup>، فلم يشهد أن أجذب زرعها قط إلا ما أصابه ريح أو برد<sup>(24)</sup>، فأصبحت تيهرت بفضل هذه العوامل الثلاث (الماء الوفير، المناخ الجيد، والأرض الخصبة)، "بقعة حسنة"<sup>(25)</sup>، كان لها بالغ الأثر في رخاء المدينة الاقتصادي وازدهار منتوجها الزراعي، فالتفت بها الأشجار<sup>(26)</sup>، وتنوعت بها الثمار<sup>(27)</sup>، حتى سميت ببلخ المغرب.<sup>(28)</sup>

### 2.2.2- قابلية التجارة:

بفضل موقعها المشرف على الصحراء، جمعت تيهرت بين خصوصية السهول الزراعية وطبيعة الصحاري الرعوية، وعرفت إلى جانب الزراعة تربية المواشي فكان بها "من نتاج البراذين والخيول كل شيء حسن، وبها البقر والغنم كثير جدا"<sup>(29)</sup>، كما ساعدها قربها من تقاطع الطرق التي تسلكها القوافل التجارية ذهابا وإيابا على ازدهار تجارتها، خاصة إذا ما تعلق الأمر بنظام التجارة البحرية الذي سنه الرستميون، وقوام هذا الأخير جعل الحاضرة داخل البلد، والتحكم في المراكز التجارية الساحلية.<sup>(30)</sup>

### 3. أنواع المنشآت المعمارية بمدينة تيهرت خلال العهد الرستمي:

تنوعت المنشآت المعمارية في الحاضرة الرستمية بين عمائر دينية، مدنية، وعسكرية، تمكنا من الوقوف عليها من خلال الجمع بين المعلومات التاريخية والمعطيات الميدانية.

### 1.3- العمارة الدينية:

تمثل هذه الأخيرة في المساجد التي يبدو أنها كانت كثيرة بالمدينة الرستمية، فقد ورد عند ابن الصغير ذكر لمساجد الكوفيين والبصريين تارة، ومصلى للجناز تارة أخرى.<sup>(31)</sup> وإن كانت هذه التسميات تعكس الوظيفة المنوطة بكل مسجد فإنها بالمقابل

23- البكري أبو عبيد الله، مصدر سابق، ص: 67، انظر أيضا: المراكشي ابن عذارى، مصدر سابق، ص: 196.

24- اليعقوبي، مصدر سابق، ص: 140.

25- الإدريسي، مصدر سابق، ص: 256.

26- المقديسي، مصدر سابق، ص: 228.

27- المراكشي، مصدر سابق، ص: 196.

28- المقديسي، مصدر سابق، ص: 228.

29- الحميري، مصدر سابق، ص: 126.

30- لبزيك دابروفسكي، مرجع سابق، ص: 296.

31- ابن الصغير، (ق3هـ)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، 2 eme semestre، المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986م، ص: 32، 80.

تدل على وجود مسجد جامع ، أشار إليه ابن الصغير في قوله عن الامام أبي اليقضان:  
"وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم."<sup>(32)</sup>

ويرجح أن مسجد المدينة الجامع هو الذي وصفته المصادر التاريخية بأنه كان مكونا من أربع بلاطات ، باعتبار أنه بني في الموضع الذي تم الاقتراع عليه من أجل أداء صلاة الجمعة عشية اختيار الموقع الذي أسست عليه المدينة<sup>(33)</sup> ، وهو ما يتوافق وتخطيط المدن الإسلامية ، التي يعمد فيها بناتها إلى وضع المسجد الجامع أولا ثم تحيط به باقي العمائر.

ولم نقف أثناء معاينتنا الميدانية للموقع الأثري على ما يقارب الوصف السابق<sup>(34)</sup> ، بل إن الدراسة المنجزة حول التخطيط الأولي للمدينة والتي حاولنا فيها تحديد نواتها الأولى حيث يتواجد المسجد الجامع ، اعتمدنا فيها أطلال الأسوار المتواجدة في أطراف المدينة بسبب غياب الشواهد المادية في مركزها.<sup>(35)</sup>

ويبقى المعلم الوحيد المتواجد في الموقع الأثري والذي نرجح أنه عبارة مصلى جنائزي بحكم تواعده بعيد عن مرك المدينة من جهة ، وبالقرب من مقبرة المدينة من جهة ثانية ، الشاهد الأثري الوحيد على العمارة الدينية ، و يحتل هذا الأخير الركن الجنوبي الغربي من الموقع ممتدا من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ، يقع مدخله الوحيد في الواجهة الجنوبية الغربية على مستوى منخفض من سطح الأرض ، ويتم الوصول إليه بعد اجتياز سلم مكون من اثنا عشرة (12) درجة ، وهو مكون من قاعة وحيدة ذات شكل مستطيل ترتفع واجهتيها الشمالية والجنوبية إلى 0,84م ، ثم تستديران في الأعلى مشكلتان معا سقفا قبويا.<sup>(36)</sup>

**2.3- العمارة المدنية:** تشير المصادر التاريخية إلى تنوع شديد في العمائر المدنية التي احتضنتها الحاضرة الرستمية ، وبالرغم من أنها لم تقدم وصفا دقيقا لها ، فإن مقارنتها

(32)- نفسه ، ص: 81.

(33)- البكري أبو عبيد الله ، مصدر سابق ، ص: 82.

(34)- أكثر تفاصيل حول نتائج الدراسة الميدانية المنجزة في الموقع الأثري سنة 2013 ، ينظر: فاطمة ، جلجال موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/777-909م) دراسة أثرية ، مذكرة لتيل شهادة ماجستير في علم الآثار ، تخصص علم آثار مغرب إسلامي ، قسم علم الآثار جامعة تلمسان ، 2012-2013 ، ص: 22-36.

(35)- جلجال فاطمة ، موقع تيهرت الأثري (160-296هـ/777-909م) دراسة أثرية ، مذكرة لتيل شهادة ماجستير في علم الآثار ، تخصص علم آثار مغرب إسلامي ، قسم علم الآثار جامعة تلمسان ، 2012-2013 ، ص: 41.

(36)- فاطمة جلجال ، موقع تيهرت... مرجع سابق ، ص: 23.

بالمعطيات الميدانية المتواجدة في الموقع الأثري من جهة وخصوصية المدينة الإسلامية وتخطيطها من جهة ثانية ، سيسهل علينا تحديد بعض منها والوقوف على أوصافها وأماكن تواجدها.

ولعل من أبرزها الأسواق العامرة<sup>(37)</sup> التي شيدت بالقرب من المساجد<sup>(38)</sup> . ولأن هذه الأخيرة كانت متعددة بتعدد أحياء المدينة ، فمن المرجح أن كل مجموعة قد ابنت سوقها الخاص كما ابنت مسجدها<sup>(39)</sup> .

وبالقرب من المساجد أيضا شيدت حمامات المدينة<sup>(40)</sup> التي تجاوز عددها الاثنا عشر حماما<sup>(41)</sup> ، ما يزال الموقع الأثري يحتفظ بأحد نماذجها ، قوامه هيكل معماري يتواجد في الجهة الشمالية يفتح مدخله على غرفة مستطيلة (5,80م\*1,85م) تتصل بغرفة أخرى ممتدة على عكس سابقتها وهي ذات أرضية مبلطة تحتوي على فتحة مربعة تمكنا من مشاهدة مستوى أرضي أعمق من المستوى المبلط ، تتصل بدورها بغرفة أخرى مكونة من مستويين بعمقين مختلفين يبلغ في العلوي منهما 0,80م ، ويمتد السفلي إلى عمق 1,20م تفصل بينهما أرضية مبلطة مازالت بعض أثارها واضحة في الواجهة الجنوبية مما يوحي بأن هذه الأخيرة تمثل الغرفة الساخنة للحمام ويؤكد ذلك وجود فتحتين متقابلتين في كل من الواجهتين الشمالية والجنوبية شكلهما مستطيل تقريبا.<sup>(42)</sup>

وتعد الأطلال الموصوفة للحمام السابق ، الأنموذج الوحيد للعمارة المدنية في الموقع الأثري الذي مازال يحتاج إلى التنقيب العميق ، باعتباره السبيل الوحيد للكشف عن خبايا المدينة واستكمال المعلومات التاريخية والحضارية المتعلقة بها ، لاسيما وأن دراسة الدور والمسكن ذات أهمية بالغة في تتبع الخصوصيات الحضارية للأمم والشعوب ، نظرا لما تعكسه من مكانة اجتماعية وتطور معماري وزخرفي.

(37)- البكري أبو عبيد الله ، مصدر سابق ، ص: 68 ، الحميري ، مصدر سابق ، ص: 126.  
38)- Chikh Bekri, Le Royaume Rostemide le premier état Algérien, ENAG éditions, Alger, 2005, p: 114.

(39)- جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984م ، ص: 33 ، 36.

40)- Chikh Bekri, op.cit, p: 114.

(41)- البكري أبو عبيد الله ، مصدر سابق ص: 68.

(42)- فاطمة جلجال ، موقع تيهرت... مرجع سابق ، ص: 24-25.



ونرجح أن تزداد تلك الأهمية في مدينة تيهرت بالتحديد، بما أن ملكية بعض الدور كانت لكوفيين وبصريين وقرويين<sup>(43)</sup>، مما يجعل الطرز المعمارية متنوعة تبعا والانتماءات العرقية المختلفة لمالكها<sup>(44)</sup>، بالإضافة إلى أن بناء القصور العالية خارج أسوار المدينة كان متعارفا عليه في هذه الفترة<sup>(45)</sup>، وهو الأمر الذي يقترن ولا بد بتطور عمراني وزخرفي يختلف تماما عن عمران الدور المتواجدة في وسط المدينة.

### 3.3- العمارة العسكرية:

يعد السور المحيط بمدينة تيهرت من أهم العمائر الدفاعية التي من شأنها أن توفر المنعة الأمنية والحصانة العسكرية لسكانها، لاسيما وأنها كانت تضم أبراجا للمراقبة وأبوابا للدخول والخروج عبرها، ولعل ما يلفت الانتباه في هذا المقام هو تكامل المعطيات التاريخية والميدانية التي من شأنها أن تمكننا من التعرف تخطيطها الأولي وخصوصياتها المعمارية، بالإضافة إلى موقعها بالنسبة للعمائر المدنية والدينية التي تحيط بها.

إن ما تبقى من أطلال هذا السور اليوم، لا يتعدى جزءا بسيطا في أقصى الجهة الشمالية الغربية من الموقع الاثري على بعد 38م شرق بقايا الحمام السابق، تتجه أطلاله من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي على امتداد 05 أمتار ويحافظ على هذا الطول إلى علو 1,25م مشكلا بذلك شكلا مستطيلا، وعلى ارتفاع 1,80م تفتح نافذة شكلها قريب من المربع يمكننا ومن خلال سمكها المقدر بـ 1,30م تحديد السمك الإجمالي للسور.<sup>(46)</sup>

وقد كان السور السابق محصنا بأبراج ذات قاعدة على شكل مضلع في الزوايا وبدعائم مربعة يبلغ طول ضلعها 5م في الأضلاع، بينما قدرت المسافة الفاصلة بين كل

(43)- ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 32.

(44)- فاطمة جلجال، العمران بمدينة تيهرت الرستمية (160-296هـ/777-909م) من خلال المصادر التاريخية والجغرافية، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد 2، ديسمبر 2014، ص: 202.

(45)- ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 53-54، 67.

(46)- فاطمة جلجال، موقع تيهرت...، مرجع سابق، ص: 28-29.

دعامتين متتاليتين بـ 20م<sup>(47)</sup>، ولم يتبق من هذه الأبراج اليوم سور برج واحد في الجهة الشمالية الشرقية من الموقع الأثري.<sup>(48)</sup>

أما الأبواب التي تتخلل السور فهي أربعة، باب الصفا، باب الأندلس، باب المطاحن، وباب المنازل<sup>(49)</sup> يقع الأول في جهته الشرقية، والثاني في جهته الشمالية<sup>(50)</sup> بينما يفتح الثالث على الجهة الغربية أما الباب الأخير فيتواجد في الجدار الجنوبي حيث الطريق إلى بلاد السودان.<sup>(51)</sup>

#### 4. مراحل التطور العمراني بمدينة تيهرت خلال العهد الرستمي:

عرفت مدينة تيهرت تطورا عمرانيا مستمرا ومتوصلا، يمكننا تقسيمه إلى مراحل ثلاث تملت فيما يلي:

#### 1.4- المرحلة الأولى (تخطيط المدينة):

أجمعت المصادر الإباضية على أن الموقع الذي أشأت عليه المدينة كان موقعا بكرالم تقم عليه عمارة قط، بل وتصفه بالغيضة وتحدثنا بإسهاب عن مراحل تهيئته وإصلاح أرضيته ليصبح جاهزا للبناء والعمارة، والتي تلخصت في عملية حرق أشجارها ثم استئصال جذورها.<sup>(52)</sup>

وبعد عملية التهيئة عمد بناة المدينة إلى وضع مخططها، وهو ما وصفه الباروني في قوله: "فشرعوا في تأسيسها واختطوها بيوتا، وقصورا، وأسواقا، وحمامات، ومساجد، وفنادق، يحيط بالكل سور محكم"<sup>(53)</sup>، فبالإضافة إلى كون هذه المنشآت قد تطرقنا إليها سابقا في وصف عمران المدينة، فهي تمثل المنشآت الأساسية التي يقوم عليها التخطيط

---

47)- Marçais(G) et Lamare (D), Recherche d'archéologie musulmane, Tihert Tagdempt (Aout-septembre 1841), in Revue Africaine, n90, 1946, p : 33.

48)- فاطمة جلجال، موقع تيهرت...، مرجع سابق، ص: 30.

49)- البكري أبو عبيد الله، مصدر سابق، ص: 66.

50)- رشيد بورويبة، الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة، مجلة الأصالة، دار البعث، قسنطينة، العدد 41، 1397هـ-1977م، ص: 184.

51)- Chikh Bekri, op.cit, p: 114.

52)- البكري أبو عبيد الله، مصدر سابق ص: 68، انظر أيضا: أبو زكرياء يحيى، مصدر سابق، ص: 81.

53)- سليمان الباروني، مرجع سابق، ص: 09، 10.

الأولي للمدن الاسلامية، وقوام هذا الأخير مسجد جامع في مركزها إلى جانبه دار الإمارة، ثم الأسواق والمسكن، ويحيط بها جميعا سور تتخلله أبواب للدخول والخروج، وتعلوه أبراج للمراقبة.<sup>(54)</sup>

واعتمادا على مواقع أبواب المدينة، فان تخطيطها كان ذو شكل مستطيل على الأرجح، خاصة إذا ما اعتبرنا أن الامتداد بين باي الصفا والمطاحن يشكل المحور الطولي المستقيم، ونظيره الممتد بين باي الأندلس والمنازل يشكل المحور العرضي.<sup>(55)</sup>

#### 2.4- المرحلة الثانية (التشييد البناء):

يصف ابن الصغير أحوال مدينة تيهرت بعد الزيارة الأولى لوفد البصرة في قوله :  
 ".. ثم شرعوا في العمارة والبناء، وإحياء الأموات، وغرس البساتين، وإجراء الأنهر، واتخاذ الرحاء والمستغلات ...، واتسعوا في البلد وتفسحوا فيها"<sup>(56)</sup>، وفي ذلك إشارة واضحة إلى تغير في الهيكل المعماري الأول للمدينة بعد حركة التعمير الكبرى التي عرفتها هذه الفترة والتي وصفها بـ "وتفسحوا في البلاد"، ولعل نتائج حركة التعمير والبناء هذه تتضح جليا في الانبهار الذي بدى على نفس الوفد الذي زارها مرة أخرى لما وجد الأمور قد تبدلت وأحوال المدينة والأشياء قد حالت.<sup>(57)</sup>

يتوافق ما جاء في النص السابق حول إحياء الموات، وإجراء الأنهر مع ما جاء عند الإدريسي في قوله: "بمدينة تيهرت مياه متدفقة وعميون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون، بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة"<sup>(58)</sup>، وهو ما ينم عن تنظيم محكم لعملية الري في هذه الفترة، حيث خصص جزء منها لسقي الأراضي فوجه نحو البساتين، وجزء للشرب فوجه إلى الدور.<sup>(59)</sup>

3.4- المرحلة الثالثة (مرحلة التوسع العمراني): لقد بلغ التطور المعماري لتيهرت ذروته في عهد الإمام أفلح ابن عبد الوهاب، الذي عمرت معه الدنيا، وانتشرت

(54)- محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، 1966م، ص: 18.

(55)- لبزيك دابروفسكي، مرجع سابق، ص: 299.

(56)- ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 31.

(57)- نفسه، ص: 32-33.

(58)- الإدريسي، مصدر سابق، ص: 256.

(59)- فاطمة جلجال، العمران...، مرجع سابق ص: 194.

القبائل، وعمرت العمائر، فتنافس الناس على بناء القصور والضياع خارج أسوار المدينة حيث الجنات والبساتين<sup>(60)</sup>.

#### 5. مواد وتقنيات البناء المستعملة في عمائر مدينة تيهرت خلال العهد الرستمي:

تحكمت خصوصية الموقع الذي أنشأت عليه المدينة في تحديد مواد البناء المستعمل في تشييدها، بينما خضع عمرانها إلى القواعد المتعارف عليها في بناء المدن الإسلامية عامة مراعيًا في ذلك الظروف السياسية والحضارية المحيطة بها.

#### 1.5- مواد الخام المستعملة في البناء والتشييد:

تعد أطلال الموقع الأثري على قلتها مادة مهمة في دراسة مواد الخام المستعملة في تشييد مختلف العمائر في مدينة تيهرت، والتي تتمثل في الغالب في مادتي الحجارة والأجر بالإضافة إلى الملاط الرابط بينها.

#### 1.1.5- الحجارة:

إن توسط مدينة تيهرت لمنطقة جبلية جعل من الحجارة المادة الأساسية المستعملة بشكل واسع في تشييد عمائرها، وقد استعمل في ذلك نوعين من الحجارة كلسية وأخرى رملية، فأما كلسية فاستعملت بشكل واسع في بناء واجهات المعالم المختلفة، وأما الرملية فاستعملت في ملأ نواة الجدران السميكة التي تميزت بها العمائر العسكرية والمدنية على حد سواء، وقد كانت الوظيفة المنوطة بالنوع الأول منهما تستدعي نحتها وتهذيبها لتصبح صالحة للبناء ومناسبة لشغل مكانها في المبنى.<sup>(61)</sup>

#### 2.1.5- الأجر:

استعمل هذا الأخير بشكل محدود في الموقع الأثري، وتوفرت منه عينتين مختلفتين كانت أولاهما بالقرب من بقايا الحمام وهي بلونين مختلفين أحمر ووردي وشكلين مختلفين باختلاف سمكها المتراوح عادة ما بين 3 إلى 4سم، أما طولهما فيقدر بـ 27 سم غالبًا ولا يكاد يزيد عرضها عن 12سم إلا نادرًا، وأما العينة الثانية فوجدت بالقرب من

(60)- ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 53، 54.

(61)- أكثر تفاصيل حول استعمال الحجار في الموقع الأثري، ينظر: فاطمة جلجال، موقع تيهرت... مرجع سابق، ص: 41-47.

المعلم الموصوف بالمسجد، وهي تختلف عن العينة السابقة بحيث يقدر طولها بـ 22 سم و عرضها بـ 11 سم، بينما يتراوح سمكها ما بين 04 سم و 06 سم سمكا.<sup>(62)</sup>

### 3.1.5- ملاط البناء:

وهو عبارة عن خليط يربط بين مختلف أجزاء البناء ويشكل لاحقا مادة صلبة<sup>(63)</sup>، قد مكنتنا المعاينة الميدانية لأطلا تيهرت من الوقوف على نوعين من الملاط، ملاط من الطين الخالص واستعمل في بقايا السور والجدران الخارجية للحمام، وملاط من الطين أضيفت إليه مواد أخرى كالجير والفخار وهو الذي استعمل في ربط وحدات برج المراقبة وتلييس الجدران الداخلية للحمام.<sup>(64)</sup>

2.5- تقنيات البناء: يمكننا الوقوف على تقنيات البناء المستعملة في مدينة تيهرت من خلال ما يلي:

### 1.2.5- الجدران:

اختلف تشييد الجدران في منشآت العاصمة الرستمية بين الدبش والأجر أو الجمع بينهما، فأما البناء بالدبش فاستعمل في رفع الواجهات الخارجية للعمائر المختلفة سواء كانت دفاعية، مدنية، أو دينية مع اختلاف في عرض السور الذي يتم ملأه بالحجارة الرملية غير المنتظمة بحيث يصل عرضه في سور المدينة إلى ما يقارب 1.50م بينما لا يزيد في المسجد والحمام عن 0.70م.<sup>(65)</sup>

أما البناء بالأجر فاستعمل في الفصل بين غرف الحمام مع اختلاف في توضع بين جدار وآخر وأحيانا بين سافة وأخرى، وأما المزج بين المادتين فنلاحظه جليا في الواجهة التي تحتوي على مدخل المسجد، حيث بنيت هذه الأخيرة بالدبش تخللته بعض قطع الأجر المتوضعة في شكل مائل.<sup>(66)</sup>

(62)- أكثر تفاصيل حول استعمال الأجر في الموقع الأثري، ينظر: فاطمة جلجال، موقع تيهرت... مرجع سابق، ص: 47-48.

(63)- الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ/10-12م) للفترتين الزيرية والحمادية (أشير-قلعة بني حماد-بجاية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد علم الآثار، جامعة الجزائر، ص: 104.

(64)- فاطمة جلجال، موقع تيهرت... مرجع سابق، ص: 48.

(65)- نفسه، ص: 51-53.

(66)- نفسه، ص: 53.

2.2.5- العقود والأسطح: استعمل في عمائر تيهرت نوعين من العقود، عقود نصف دائرية شكلت بواسطة حجرين منحوتين في شكل ربع دائرة يلتقيان في نهايتهما، وعقود منكسرة قوامها حجارة مهذبة متراسة بعضها إلى جانب بعض ترتكز على جانبي مدخل المنشأة المعمارية.<sup>(67)</sup>

أما الأسطح فهي بدورها نوعان، نوع مسطح الشكل صنع من مادة الخشب وصفه ابن الصغير في قوله: "يركب أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه"<sup>(68)</sup>، و في ذلك إشارة واضحة إلى شكله المسطح من جهة، ويقودنا إلى التخمين بأن أسقف المنازل بتيهرت كانت مسطحة استعمل فيها جذوع الأشجار المتوفرة بالمنطقة من جهة ثانية، لاسيما في المرحلة الأولى من التطور المعماري للمدينة.

وأما النوع الثاني فهو ذو شكل قبوي بني بالحجارة، قوامه مجموعة من الأقواس النصف دائرية المشكلة أساسا من الحجارة المتراسة جنبا إلى جنب في شكل طولي، وأغلب الظن أن هذه التقنية في التسقيف قد اعتمدت في بناء غرف الحمام الموجود شمال الموقع الأثري، بما أن استعمال الأسقف المسطحة، المشكلة من الخشب يتنافى وطبيعة هذا المعلم.<sup>(69)</sup>

خاتمة: لقد خضع عمران مدينة تيهرت لمجموعة من العوامل تحكمت فيها خصوصية الموقع الذي احتضن المدينة من جهة، وقواعد العمارة والتعمير الذي خصت به المدن الإسلامية من جهة ثانية، فضلا عن التأثير بالروافد الحضارية والفنية للعناصر المهاجرة التي تمكنت من الاستيطان بها وتشكيل وحدات معمارية مستقلة خاصة بها. فأصبح وبناء على ذلك التخطيط المعماري للمدينة يتشكل من مجموعة من الأحياء المتراسة لكل منها مسجدها الخاص، سوقها الخاص، وحمامها الخاص غير أن ذلك لم يمنع من تشييد مسجد جامع يضم جميع فئات المجتمع على اختلاف اعراقها ومذاهبها، ومع التطور المعماري الذي عرفته المدينة توسع عمرانها إلى خارج أسوارها حيث شيدت القصور والضياع. في حين بقيت العوامل البيئية والطبيعية الموجه الرئيسي في اختيار مود البناء المستعملة بها وأحيانا أخرى في توجيه تقنيه استعمالها عبر مختلف المراحل التي مرت بها تطورها العمراني.

(67)- فاطمة جلجال، موقع تيهرت...، مرجع سابق، ص: 50.

(68)- ابن الصغير، مصدر سابق، ص: 132.

(69)- فاطمة جلجال، موقع تيهرت...، مرجع سابق، ص: 50.

**قائمة المراجع:**

1. ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر و ابراهيم بحاز، الجزائر: المطبوعات الجامعية، 2eme semestre، 1986م.
2. ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، كتاب صورة الأرض، لبنان بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، 1992م.
3. ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، لبنان، بيروت: دار الفكر، 1431هـ-2001م.
4. أبو زكرياء يحيى بن أبي زكرياء، سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق اسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1984م.
5. الإدريسي الشريف، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 142هـ-2002م.
6. الاصلطخري ابراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، طبع بمدينة ليدن المحروسة: بمطبع بريل.
7. الباروني سليمان بن عبد الله، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق أحمد كروم، عمر بازين، مصطفى ابن دريسو، تقديم ابراهيم بكير بحاز، واحمد بن سعود السبابي، قسنطينة: طبع بدار البعث، ط3، 1423هـ، 2002م.
8. البكري أبو عبيد الله، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، القاهرة: دار الكتاب الاسلامي.
9. الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، (160-296هـ)، الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع، ط 2، الكويت، 1408هـ-1987م.
10. الحميري أحمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت: مكتبة لبنان، ط 2، 1884م.
11. المراكشي ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج كولان أيليفي بروفنسال، لبنان، بيروت: دار الثقافة، ط 2، 1993.
12. المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط3، 1411هـ-1991م.
13. يعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، طبع بمدينة ليدن المحروسة: بمطبع بريل، 1890م.
14. بوروية رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، ج3، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، وزارة الثقافة، 1984م.
15. بوروية رشيد، "الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة"، مجلة الأصالة، دار البعث، قسنطينة، العدد 41، 1397هـ-1977م.
16. جلجال فاطمة، "العمران بمدينة تيهرت الرستمية (160-296هـ/777-909م) من خلال المصادر التاريخية والجغرافية"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية جامعة وهران1 أحمد بن بلة، العدد2، ديسمبر 2014، ص ص: 179-208.

17. جلجال فاطمة، " دور المواقع الأثرية في كتابة تاريخ الجزائر في العصر الوسيط -موقع تيهرت الأثري أنموذجاً-"، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، مخبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية جامعة وهران أحمد بن بلة، العدد 5-6، جوان 2017، ص ص: 310-322.
18. جلجال فاطمة، موقع تيهرت الأثري (160-296هـ / 777-909م) دراسة أثرية، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في علم الآثار، تلمسان: قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2012-2013.
19. جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
20. شاوش محمد بن رمضان، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، مستغانم: المطبعة العلوية، ط1، 1966م.
21. عمر الأمين عمر، مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين (4-6هـ / 10-12م) للفترتين الزيرية والحمادية (أشير-قلعة بني حماد-بجاية)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، الجزائر: معهد الآثار، جامعة الجزائر.
22. ليزيك دابروفسكي، تاهرت: ملاحظات حول تطور فن العمارة الإسلامي بالمغرب الأوسط (القرن السابع-الحادي عشر)، محاضرات و مناقشات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ورجلان 17-26 صفر 1397هـ- 06-15 فبراير 1977م، المجلد الرابع، منشورات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
23. Bekri Chikh, Le Royaume rostemide le premier etat Algerien: Alger : ENAG editions, 2005.
24. Marçais (G) et Lamare (D), « Recherche d'Archéologie musulmane, TihertTagdempt (Aout-septembre 1841) », in **Revue Africaine**, n90, 1946, pp : 24-57.